قراءة تاريخية تحليلية في المنعطف اللغوي في الفلسفة.

Lecture historique analytique à la jonction linguistique de la philosophie

أحمد راقع.
المركز الجامعي نور البشير؛ البيّض؛ (الجزائر).
البريد الإلكتروني: *ilyeswahid79@gmail.com*

تاريخ الإرسال:21/05/11؛ تاريخ القبول:21/06/02؛ تاريخ النشر:21/06/25.

الملخص:

تعتبر الفلسفة التحليلية واحدة من أهم تيارات ومذاهب الفلسفة المعاصرة، وقد اهتمت بموضوع اللغة ورأت فيه المجال الأجدر بالتفلسف انطلاقا من أن مشاكلنا لغوية قبل أن تكون فكرية، ولم ينشأ الاهتمام باللغة وليد الصدفة بل كان امتدادا صريحا لمراحل متلاحقة بدأت بالثورة على فلسفة إقليدس مما أثار مشكلة اليقين في الرياضيات بكميها؛ المتصل والمنفصل، وقد انبرى الرياضيون لعلاج هذا التخلخل فظهرت الهندسات اللإقليدية، وظهرت النزعات؛ المنطقية والحدسية والأكسيومية لرأب الصدع الناتج عن أزمة نقائض نظرية المجموعات، وقد اهتم الفلاسفة بهذا الإصلاح ورأوا فيه سبيلا لإصلاح

الفلسفة في حدّ ذاتها، وذلك بإسقاط فكرة إخضاع اللغة إلى المنطق لضمان صدقها وعدم جنوحها مما أدى إلى إخراج كم هائل مما ينسب للفلسفة وهو ليس منها، وقد بدأ العمل رياضيا لانشغال علماء الرياضيات به وانتهى فلسفيا لأن من اهتموا به جمعوا بين الرياضيات والفلسفة، وهذا ما يعرف بالمنعطف اللغوي في الفلسفة الذي بدأه فريجه ومور وراسل وفيتجنشتاين وصولا إلى الوضعية المنطقية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة التحليلية؛ المنعطف اللغوي؛ المنطق؛ الوضعية المنطقية؛ هندسة اقليدس.

Abstract:

Analytic philosophy is considered one of the most important currents and doctrines of contemporary philosophy, and it has been concerned with the issue of language and saw in it the most worthy field for philosophizing on the basis that our problems are linguistic before they were intellectual. Raised the problem of mathematical certainty in its quantity; The connected and discrete, and mathematicians set out to treat this deformation, so Euclidean geometries appeared, and the logical, intuitive and axiomical to heal the rift resulting from the crisis of the oppositions of group theory. Philosophers were interested in this reform and saw in it a way to reform philosophy in itself, by dropping the idea of subjecting language to logic to ensure her sincerity and not to be delinquent, which led to the output of a huge amount of what is attributed to philosophy, which he is not from, and the work began mathematically because mathematicians are busy with it and ended philosophically because those who cared about it combined mathematics and philosophy, and this is

known as the linguistic turn in philosophy that Frege, Moore, Russell and Wittgenstein started up to Logical Positivism.

Key words: Analytic Philosophy; The linguistic turn; Logic; Logical Positivism; Euclid geometry.

مقدمة:

إنّ الدارس للفلسفة عموما، وللمعاصرة منها خصوصا يلاحظ أهمية التيار التحليلي فيها لكبر الأسماء التي تبنته وأسهمت فيه كإدوارد مور برتراند راسل ولودفيج فيتجنشتاين، وللتيارات والمذاهب التي نشأت خلاله كمدرسة أكسفورد والوضعية المنطقية إضافة للمواضيع التي كانت محل نقاش فيه، ومن الأهمية الإشارة إلى أن كل ما سبق - تقريبا - يندرج ضمن ماي عرف بالمنعطف اللغوي في الفلسفة.

فما أصول هذا المنعطف اللغوي؟ وماهي تجلياته؟

وللإجابة عن التساؤلات آنفة الذكر انطلقنا بالبحث التاريخي ثم التحليلي لموضوع الانعطاف اللغوي وذلك بالبحث في جذوره البعيدة أولا ثم القريبة ثانيا، ليبدأ ظهور الاهتمام باللغة تدريجيا حتى يصل إلى جعل اللغة موضوعا للفلسفة مع فلسفة الذرية المنطقية عند راسل وفلسفة اللغة العادية عند فيتجنشتاين وفلسفة التحليل اللغوي عند الوضعية المنطقية.

1 -الجذور:

أ - البعيدة؛ إمتداد اللايقين من الهندسة إلى علم الحساب:

بـدأت أول مـا بـدأت المشـكلة عنـدما أدى البحـث في مسـلمة التـوازي الـتي بنـى عليهـا إقليـدس هندسـته إلى تأسـيس هندسـات لا إقليدية، وإذا كان هذا البحث أدى إلى نتائج إيجابية تتلخص في ظهور أنـواع أخـرى مـن الهندسـات فتحـت آفاقـا واسـعة أمـام الرياضـيين، فـإن مشكلة الأسس الناتجة عن أزمة نقائض المجموعات بقيت مع ذلك، بل بسبب من ذلك مطروحة بحدة أكثر (الجابري، يونيو 2002، 102). لقد بـدأت الثورة على الهندسـة الإقليديـة بجهـود الرياضـي والمنطقـي جيـري لامـو سـاكيري (1667_1733) في النصـف الأول مـن القـرن الثـامن عشر حين نظر في المسلمة الخامسة بقصد إصلاحها لا الثورة عليها، وتقول المسلمة: "إذا قطع خط مستقيم خطين مستقيمين آخرين بحيث يكون مجموع الزاويتين الداخلتين من جهة واحدة من القاطع أقل من قائمتين، فإن هذين الخطين يلتقيان إذا امتدا من جهة هاتين الزاويتين" رأى ساكيري أن المسلمة معقدة ومن ثم محتاجة لبرهان لها، لا أن نسلم بهـا منـذ البدايـة، وحـاول تقـديم برهـان لهـا حمـل في ثناياه أفكـارا هندسية غريبة عن هندسة إقليدس مما حفز الرياضيين من بعده إلى تقـديم هندسـات لا إقليديـة، بـدأت هـذه المجهـودات بأعمـال الرياضـي الروسـي نيكـولاي لوباتشفسـكي (1792_1856) والألمـاني برنـارد ريمـان (1826_1866) وقـد قـدما نمـوذجين مخـتلفين فيمـا بينهمـا، كمـا أنهمـا مختلفـان عـن نمـوذج إقليـدس. (زيـدان، 1971، 87) ولم تنحصـر الهندسـات اللإقليديـة في النمـوذجين السـابقين، وإنمـا وصـل علمـاء الهندسـة إلى إمكـان إقامـة عـدد لا نهـائي مـن الأنسـاق الهندسـية المختلفة في المقدمات المنطلقة منها وهو ما يسمى بالنسق الأكسيوميي

الذي يعني وضع نسق من المقدمات أو الفروض التي توضع واضحة صريحة منذ البدء بلا برهان، ثم نشتق منها نظريات بطريقة الاستنباط، وقد طبقت هذه الطريقة أولا على الهندسة ثم على علم الحساب ثانيا. (زيدان، 1971، 88) في محاولة حل ما يعرف بأزمة نقائض المجموعات، هذه النظرية التي بدا أنه من الممكن تأسيس الرياضيات – في شقها الحسابي – عليها، ونجحت النظرية فعلا في استيعاب مختلف فروع العلم الرياضي وجمع شتاته وتحقيق الوحدة والانسجام بين كافة أجزائه، لولا تلك النقائض في المجموعات التي اكتشفها علماء الرياضيات بدءًا بالرياضي الإيطالي سيزار بورلي فورتي (1861 - 1931) والألماني جورج كانتور (1845 -1918) والإنجليزي برتراند آرثر وليم رسل (1872 -1970) وغيرهم. وقد ظهر حل هذه المعضلة فيما يعرف بالنزعات الثلاث؛ المنطقية والحدسية والأكسيومية التي سعت إلى رد الرياضيات إلى أساس متين ولكنه مختلف حسب كل نزعة.

ب - القريبة؛ المنطق من إصلاح الرياضيات إلى اصلاح اللغة:

لقد كان لأعمال فرانتز برنتانو (1838 -1917) وبولتزانو (1781 -1848) الأسبقية الزمنية في محاولة تنقية اللغة الفلسفية وجَعْلِ المنطق أكثر دقة، والمنطق المعنيُّ هنا، هو المنطق الرمزي الذي حلَّ ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر محلَّ المنطق الأرسطي دون أن يُفْقِدَهُ مكانته، وقد طرحت مشكلة إعادة بناء مضمون المنطق عندما وجد الرياضيون أن المنطق الصوري الأرسطي لا

يصلح لبناء الرياضيات على أسس دقيقة، فقضايا الرياضيات التي تُعَبَّرُ عن علاقات لا يمكن أن تُصَبَّ في قالب "الموضوع - المحمول"، وهو القالب الوحيد الذي يقدمه لنا المنطق الصوري الأرسطي، وهذا لاعتماد هذا المنطق على اللغة العادية التي تفتقر إلى الوضوح والدقة، لذا برزت الحاجة إلى تطوير نظرية منطقية.

لقد رأى جوتلوب فريجة (1848 -1925) أن اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية لا تصلح لأن تكون أداة للتعبير عن أفكارنا، ولذلك فهو يرى أنه لابد من وجود منهج لتجنب الأخطاء التي قد تنشأ عن سوء فهمنا لهذه اللغة. ويرى فريجة أنّه وفقا للغة العادية فإننا حين نفكر نستخدم رموزا حسية، وهكذا فان اهتمامنا يكون موجها للخارج. فالنطباعات الحسية تتخطى صور الذاكرة في نشاط وحيوية لكي توجد، فهي في البداية تحدد نفسها في نطاق لغتنا المجازية، ويشبه ذلك بما يحدث للحيوانات. ويرجع فريجة التبعية للانطباعات الحسية التي لا مهرب منها إلى استخدام اللغة المجازية (اللغة العادية) حيث العالم الخارجي الذي لا يوجد به وسيلة للاعتماد على أنفسنا للإفلات من هذه التبعية للانطباعات الحسية(Frege, p. 155).

إنّ تطوير مثل هذه النظرية بدأ مع " فريجة" الذي استخدم لغة رمزية تتألف من متغيرات وثوابت منطقيه لكي يتم بواسطتها التعبير عن بديهيات المنطق وقوانينه الأساسية بهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من الدقة والعمومية، هذا الفهم للمنطق يهدف إلى توحيد أكسيومي لقوانين الفكر مستوحيا مثال الهندسة الإقليدية، وذلك

لِجَعْلِ المنطق علما تحليليا قبليا شاملا يقوم -كالهندسة - على مسلمات واضحة بذاتها لا تختلف عن مثيلاتها في الهندسة، إلا من حيث عدم اعتمادها على الحدس المكاني، ومن حيث عمومية تطبيقها الذي يجعلها تَطَالُ كل ما هو مُفكَّر فيه؛ هذه المسلمات المُعبَّر عنها برموز تُشكل القوانين الأساسية للمنطق، وبمجرد امتلاك هذه القوانين لا نعود بحاجة إلى مطلب الحقائق الواضحة بذاتها للحصول على قوانين الصدق، إذ يمكن اشتقاقها بدقة من مسلمات نظام "فريجة" (وداد، 2001، 14 -15).

ومن الأهمية البالغة الإشارة إلى أن في طليعة أولئك الرياضيين الفاحصين لأصول الرياضيات يتقدم الإيرلندي جورج بول (1815 - 1864) الذي يُعْزَى إليه الفضل في تأسيس المنطق الحديث، فقد استفاد من أستاذه أغسطس دي مورجان (1806 -1871)، وكان هذا الأخير عالم رياضيات اهتم بتطبيق الأدوات الرياضية على المنطق التقليدي، وفي كتابه "المنطق الصوري" (1847) صاغ نظرية العلاقات لأول مرة في صورة رمزية وعَلِمَ جورج بول أن المنطق يمكنه استخدام أساليب الرياضيات، وأن قوانين الجبر يمكن تعميمها بصرف النظر عن تفسيراتها الجزئية. كما استخدم ثلاثة أنواع من الرموز؛ أولا: رموز لغوية مثل: س، ص، ك، م، لِتَدُلَّ على مفاهيم وقضايا، ولكي يمكن استخدام هذه الرموز تبعا لقوانين تركيب معروفة تعطي نتائج مُتّسِقة، استخدم جورج بول – ثانيا: رموزا أو علامات دالة على عمليات مثل: +،

-، ×. وثالثا: علامة الهوية (=) التي اعتبرها علامة أساسية (الخولي، 2000، 246).

طبّق جورج بول جبره المنطقي على فروع المنطق وموضوعاته، بما في ذلك نظرية القياس الأرسطية، واتضح أنها مجرد حالة لمنطق الفئات، فالمنطق الرياضي يستوعب المنطق التقليدي في سياق أوسع وأرحب، والأهمُ أنه أدقُّ وأكفأُ. إذ لا يعرف المنطق الأرسطي إلا القضية الحملية ((أ هي ب))، حيث تحمل (ب) على الموضوع (أ). أما في المنطق الرمزي فثمة أنواع عديدة من القضايا: اللزومية الشرطية والقضية الانفصالية والقضية العطفية والقضية المنفية والقضية التركيبية، وينقسم المنطق الحديث أو الرمزي إلى ثلاثة مباحث رئيسية هي: حساب القضايا وحساب الفئات وحساب العلاقات، وهناك أيضا حساب الكمولات (الخولي، 2000، 248).

وبالعودة إلى فريجة نجده اشترك مع مورجان وج. بول وغيرهما في الانطلاق من الفحص النقدي لأصول الرياضيات، لكن من اتجاهين مختلفين؛ فإذا كان مورجان وبول سعيا إلى ردَّ المنطق إلى الرياضيات، فإننا نجد فريجة وجوزيبه بيانو (1858 -1992) وغيرهما سعوا إلى ردِّ الرياضيات إلى المنطق. لقد حاول فريجة ردَّ علم الحساب إلى مجموعة قوانين منطقية لتخليصه من تناقضاته، كما حاول إيجاد تعريف مُحدّد ودقيق لمفهوم "العدد" بحكم أنه مفهوم مركزي ومهم جدا في علم الحساب، وفي محاولته هذه وجد فريجة نفسه مضطرا إلى تقديم حجج أكثر فلسفية، لأن ضبط مفهوم العدد يتطلب استقصاءً

فلسفيا، وبالتالي صارت المهمة مشتركة بين الرياضيات والفلسفة (نجيب، 1980، 56).

إن عمل " فريجة " بدأ رياضيا، منطقيا، وانتهى فلسفيا، وصارت أفكاره مرجعا هاما اعتمد عليه فلاسفة الوضعية المنطقية في تقديم آرائهم، ليس فقط من حيث استخدام منطقه الرمزي لصياغة لغة فلسفية علمية خالية من الثغرات المنطقية، بل أيضا من حيث إثارته لبعض المسائل التي تستبق العديد من الطروحات الفلسفية الجديدة؛ وأهمها:

- مسألة قصور اللغة العادية عن أن تكون لغة فلسفية ومنطقية لما تمارسه من حَجْبٍ للبُنَى المنطقية الأساسية للفكر، وقد مهّد "فريجة" بذلك للنقد الذي ستوجهه الوضعية المنطقية للميتافيزيقا.
- تأكيده على أن قوانين المنطق هي قوانين الفكر، أي أنها تحكم كل ما هو مفكَّر فيه.
- بحثه في المعنى والإحالة أو الدلالة، وتأكيده على أن ما يحدد معنى كلمة ما، هو استعمالها، وهذا هو جوهر عمل فيتجنشتاين المتأخِّر، والذي شكّل بداية لاتجاه فلسفي جديد عرف باسم: "فلسفة اللغة العادية " (وداد، 2001، 21 -22).

لقد امتد إصلاح الرياضيات إلى إصلاح أساس الرياضيات ألا وهو المنطق كرموز، ومن ثم إصلاح اللغة المنطقية، ولاحظ الفلاسفة قصور المنطق الأرسطي الذي يكتفي بثنائية الموضوع والمحمول التي لا يمكنها استيعاب قضايا الرياضيات، واستفاد الفلاسفة من فكرة

الإصلاح وحاولوا إسقاطها على اللغة في حد ذاتها كلغة فلسفية وكلغة متداولة عادية كذلك، وهذا ما مهد لظهور تيار فلسفي يهتم باللغة كموضوع للفلسفة ألا وهو تيار الفلسفة التحليلية كتجسيد للمنعطف اللغوي في الفلسفة.

2 -ظهور المنعطف اللغوي:

إذا كان فريجة قد مهّد بفكرته القائلة بإصلاح اللغة لكثير من أفكار الوضعيين المنطقيين، فإن جورج إدوارد مور (1873 - 1958) يعتبر رائد التحليل، فبداية حركة التحليل ترجع إلى مقاله "دحض المثالية 1903" إذ ثار فيها ضد المثالية الهيجلية، والمثالية الجديدة التي بدأت تظهر في بريطانيا منذ عام 1870 متمثلة في فلسفة هربرت برادلي (1846 -1924) وجورج بيركلي (1865 -1753) وغيرهما. وأهمية مور كرائد لفلسفة التحليل في الفترة المعاصرة تعود إلى المنهج الذي جاء به واستخدمه في معالجة مشكلات الفلسفة، فلو قارنّا منهجه بمضمون تعاليمه، لما كان لهذه الأخيرة أهمية كبيرة، فكثيرا ما نجده يرفض النتائج السابقة، ويودُّ لو أعاد تأليف كتبه من جديد في طبعة جديدة (ميتس، 1967، 544). وهذا التحليل هو الذي أقامت عليه الوضعية المنطقية – التي سنترك التعريف بها إلى حين الحديث عن إسهاماتها في هذا الموضوع - بناءها الفلسفي، رغم الاختلاف في تفاصيل التحليل. ويكاد يحدث إجماع للتأريخ لحركة التحليل في الفلسفة بكتابات كل من مور وراسل، إلا أن هناك من يقول بوجود فلاسفة مارسوا التحليل بكفاءة ومهارة واضحتين، ابتداءً

من السفسطائيين وسقراط وأفلاطون، ووصولا إلى ديكارت وبيكون وهيوم (Hampshire, 2000, p. 142).

والحقيقة أننا إذا سلّمنا بهذه الجذور التاريخية فيجب أن نوضّح الفرق بين التحليل القديم والتحليل المعاصر؛ فالتحليل في الفلسفة اليونانية كان للمفاهيم والتصورات، أما في الفلسفة الحديثة فقد كان للوجود وبيان مكوناته وللمعرفة وبيان مصادرها وكيفياتها، أما التحليل المعاصر فقد كان للقوالب التي تَرِدُ فيها المعرفة، وهذه القوالب هي اللغة. ونحن هنا لن نتحدث إلا عن الفترة المعاصرة، وبالضبط عن التحليل عند جورج إدوارد مور، الذي ترتبط به حركة التحليل في الفلسفة وبالضبط في مقاله المشار إليه آنفا، حيث قدّم منهجا جديدا يقوم على أساس فكرة الحس المشترك الذي يشير كفكرة في الفلسفة المعاصرة إلى نظرة ساذجة للحقيقة بُعدها مُغاير للنظرة العلمية، وأحيانا يشير إلى مجموعة مواقف وافتراضات بُسطاء وعامة الناس الذين ليسوا على اطلاع، لا على علم ولا على فلسفة. ويسمى كذلك الإدراك الشائع *sense common* وهو طريقة التفكير التي يألفها الناس بعيدا عن تخصصاتهم الدقيقة، والإدراك الشائع ليس كيانا متجانسا محددا، بل تتفاوت مقدماته ومفاهيمه وأساليبه في الاستدلال من شخص إلى آخر. ويمكن القول بأنه خليط بين العلم واللا علم وغير العلم (قنصوة، 2008، 50 -51).

لقد نظر مور في المشكلات التي يزخر بها تاريخ الفلسفة – وفي مجال الأخلاق بصفة خاصة – فوجد أنّها ترجع أساساً إلى سبب غاية

في البساطة، أَلَا وهو محاولة الإجابة على أسئلة معينة دون أن نتبيّن حقيقة السؤال الذي سنجيب عنه، فلو حاول الفلاسفة اكتشاف المعنى الحقيقي للأسئلة التي يطرحونها قبل أن يشرعوا في الإجابة عنها، فإن المحاولة الجادة قد تكفي لضمان النجاح. وإذا تمت هذه المحاولات الجادة فستتلاشى معظم المشكلات الخادعة، وستختفي أصعب الخلافات الفلسفية (Moore, 1948, p. VII).

والفكرة الأساسية في نوع التحليل تَبَنّاه مور هي أن القضايا المُصَاغة في اللغة العادية صحيحة بمعنى أنها ليست موضع اعتراض من حيث المبدأ، أي أنها ليست مما يمكن عَدُّه غير معقول لا من الناحية المنطقية ولا من الناحية الميتافيزيقية، ومن جهة أخرى، طالما أن صيغ قضايا اللغة العادية هذه تُخْفِي معناها الصحيح فإنها لن تكون مُقنعة لا منطقيا ولا ميتافيزيقيا، لذلك يكون هدف المحلِّل هو إعادة صياغتها من أجل أن يُظْهِر معناها بوضوح أكثر مما يهدف إلى رفضها. وقد أوضح لنا أننا إذا أخذنا المعنى الحرفي لكلمات الفلاسفة سنجد أنهم يستخدمون تلك الكلمات لصياغة عبارات خاطئة بصورة جَلِيّة، ويبقى من المحتمل أن أولئك الفلاسفة إنما يقولون شيئا مختلفا بصورة تامة عمّا يبدو أنهم يقولونه، وفي هذه الحالة إن اكتشاف ما يَعْنُونَهُ يطرح مشكلة أو يكون هو المشكلة، فإن لم يكونوا يستخدمون الكلمات بأيّ معنى عادٍ، فإن المعنى الذي يستخدمون تلك الكلمات بموجبه يجب توضيحه (منذر، 2004، 159).

لقد رأى مور أن المشكلات الفلسفية تنشأ عن طريق استعمال الفلاسفة للألفاظ والعبارات على نحو يختلف عن الطريقة التي اتفق الناس فيما بينهم على استخدام تلك الرموز اللغوية وبذلك تنشأ عبارات ليست بذات معنى مفهوم، وقد لا يظهر هذا الأمر إلا بعد التحليل، فتؤخذ عند فلاسفة الميتافيزيقا على أنها مشكلات تستدعي التأمل والتفكير، وتنتظر الحل والجواب، والحقيقة أنها مجرد أخلاط من عبارات لا تدل على أي شيء (مهران و مدين، 2004، 152). إنّ التحليل عند مور هو انتقال من فكرة أو أفكار معقدة إلى أخرى أبسط منها وأوضح، وليس مجرد ترجمة تعبير لغوي مُعيّن بتعبير لغوي آخر أكثر وضوحا (إدوارد، 1978، 122).

3 -تجسيد المنعطف اللغوي:

إنّ تاريخ الفلسفة التحليلية يثبت أن أول من قال بمنهج التحليل المنطقي للغة كمنهج جديد للفلسفة هو راسل إذ حدد أهمية التحليل وأثره في الفلسفة والفلاسفة بقوله: "إن أولئك الفلاسفة الذين اتبعوا الطرق المستمدة من التحليل المنطقي يستطيعون تناول الجدل، لا بالطريقة القديمة غير الهادفة... إنهم يعترفون صراحة بأن العقل البشري يعجز عن إيجاد إجابات حازمة عن كثير من المسائل ذات الأهمية القصوى للإنسان، ولكنهم يرفضون الاقتناع بأن هناك وسيلة "أسمى" نستطيع أن نكشف بها الحقائق التي تختفي على العلم وعلى العقل. وقد كان جزاؤهم على هذا الرفض اكتشافهم أن كثيرا من المسائل – التي كانت فيما مضى تختفي في غموض الميتافيزيقا – يمكن

الإجابة عنها بدقة وبوسائل موضوعية لا تستعين بشيء من استعداد الفيلسوف سوى رغبته في الفهم والإدراك، ومن هذه المشكلات مثلا؛ ما هو العدد؟ وما هو المكان؟ ما هو الزمان؟ ما هو العقل؟ ما هي المادة؟ ... لست أزعم أننا نستطيع على الفور أن نعطي إجابات حاسمة عن كل هذه المشكلات القديمة ولكن أزعم أننا نقترب من الحقيقة شيئا فشيئا، بطريقة أن كل خطوة جديدة تنبني فيها على الخطوة السابقة ولا تقوم على أساس نبذ كل ما سبق" (أدريين، 1983، 327).

لقد قدم راسل فلسفة سماها الفلسفة الذرية المنطقية؛ مفادها أن العالم مجموعة من الوقائع وأن الواقع هو ذلك الشيء الذي يجعل القضية صادقة أو كاذبة، والوقائع أنواع هي: جزيئية، عامة، موجَبة، سالبة. وأبسطها الوقائع الذرية التي تعتبر نهاية التحليل، إذ لا يمكننا أن نعرف الوقائع الذرية بالاستدلال من مقدمات موضوعة، ومن أهم صفات الواقعة الذرية أنها قبلية وتجريبية؛ قبلية يعني أن وجودها سابق على وجود القضية الذرية التي تشير إليها، ومعنى أنها تجريبية هو أنها متحققة في الوجود الخارجي، ويمكن التأكد من وجودها أو عدم وجودها بالرجوع إلى الواقع التجريبي (Russell. B, 1949, pp. 62-63).

والأصل في هذه الفكرة أنَّ في أواخر القرن التاسع عشر عادت المثالية للظهور بقوة في الفلسفة الإنجليزية مما جعل رسل يتصدّى لها – أي المثالية – من خلال كتاباته خاصّة كتابي: "أصول الرياضيات" و"مشكلات الفلسفة" متبنيا فلسفة الذرية المنطقية، ومعتمدا على التحليل كعنصر أساسي في فلسفته، بل هو المنهج المناسب لدراسة

الفلسفة (Weitz, p. 57). لقد اقترح رسل للفلسفة منهجاً جديداً سمّاه: "منهج التحليل المنطقي" "*analytic method of logical*" عرضه في كتابه: "معرفتنا بالعالم الخارجي" (1914) وهو ليس منهجاً جديداً، فقد أشار إليه مؤسسو المنطق الرياضي في القرن التاسع عشر خصوصاً جورج بول وجوزيه بيانو وجوتلوب فريجه. وهذا المنهج يستخدم نتائج المنطق الرياضي ونتائج فلسفة الرياضيات، وفي ميدان الرياضيات نفسها، ويستخدم ما أتت به من تعبيرات مثل: صنف، إضافة، نظام، علاقة، ... بهدف إيضاح بعض المشاكل التقليدية في الفلسفة؛ كطبيعة العالم الخارجي، والعلاقة بين عالَم الفيزياء وعالمنا المحسوس المألوف للإدراك العام، كما يهتم بمشكلتي الزمان والمكان، والاتصال واللامتناهي، والعلية (بدوي، 1975، 29 -30).

أما لودفيج فينتجنشتاين (1889 - 1957) الذي يعد أب الفلسفة التحليلية فقد انطلق في نقده للفلسفة التقليدية من أن الفلاسفة قد وقعوا في حالة من الفوضى والارتباك نتيجة لميلهم إلى النظر للاستخدامات المتعددة للغة بطرق غير ملائمة. إن هذا الخلط - كما يرى فتجنشتاين - لم ينشأ عن التفكير الذي ينطلق من مقدمات خاطئة عن اللغة، وإنما ينشأ من النظر إلى اللغة وفق منظور خاطئ أو منحرف عن الوضع السوي. وما مَهمة الفلسفة بالتالي إلا أن تحثنا على التخلي عن مثل هذه النظرة الخاطئة وغير الملائمة (Wittgenstein, 1978, p. 127).

والسبب في عدم حدوث تقدم في الفلسفة برأي فتجنشتاين، يعود إلى إغفال معنى هام لها هو "كون الفلسفة مسألة إرادة وليس مسألة

عقل وفكر فحسب". ففي كتابه "أبحاث فلسفية"، وضّح فتجنشتاين تصوره البديل للفلسفة. فهو يزعم أن الفلسفة، في المحل الأول، إسهام للفهم البشري وليس للمعرفة البشرية. إذ ليس هناك، بنظره، قضايا فلسفية تكتشف حقيقتها ويصار إلى برهنتها. كما أنه ليس هناك نظريات فلسفية لتثبت أو تدحض. إن ما يعنيه التفلسف هو العمل والمشاركة الفاعلة في توضيح المفاهيم بما يؤدي إلى تكوين نوع خاص من الفهم، وليس إلى تكوين معرفة جديدة. إن الإنجاز في الفلسفة هو مَحْوُ كل خلط تصوري وإنهاء المشكلات الفلسفية. وهذه نتيجة مترتبة عن إيمان فتجنشتاين بأن مشكلات الفلسفة تتعلق بالمفاهيم والتصورات وليس بالوقائع، وبالتالي فإن حلَّها ومحوها هو مسألة بحث تصوري ولغوي نبلغه بالتحليل الأوليّ (عطاري، 2006، 307 -308).

وعليه فإن البحث الفلسفي يكْمن في مظهرين: - الأول: أنه علاج للفلسفة من أمراضها المزمنة، أمراض الفهم. - الثاني: أنه البحث عن عرض واضح لتلك الجوانب في اللغة التي تعتبر مصدر الإشكالات الفلسفية، على اعتبار أن الإنجاز في هذا يشكل جزءا من منهج حل المشكلات الفلسفية. ويمكن القول إن المظهرين هما وجهان من أوجه التوضيح التصوري الذي قصد إليه فتجنشتاين عبر تطور فكره الفلسفي مبتدئاً بكتابه: "رسالة منطقية - فلسفية" (عطاري، 2006، 309).

إن ما تهتم به "الرسالة" هو توضيح بنية اللغة والعالم. إنها تؤكد وجود لغة واحدة محكومة ببنية أساسية. فاللغات جميعا هي في

أساسها لغة واحدة، وذلك بالنظر إلى الشروط المنطقية التي يجب أن توفرها. وما التحليل الفلسفي إلا المنهج في وضع الأساس المتين للغة. فنحن نصدر أحكاماً وقضايا حول العالم، ولكن كون القضية لها معنى لا يعتمد تماما على وضعية وحالة القضايا الأخرى. ومن هنا تحاول "الرسالة" أن تجيب عن سؤال فتجنشتاين الأساسي: ما الذي يضمن للغة أن تستخدم الأحكام والمزاعم حول العالم؟ وهذا السؤال يرتبط بتفسير فتجنشتاين للسؤال: كيف يمكن للغة أن تكون ذات معنى؟ (عطاري، 2006، 312).

وإذا كان فيتجنشتاين قد أثّر في "مدرسة أكسفورد" بفلسفته المتأخرة فإنّ التأثير الأكبر الذي أحدثه من خلال كتابه: "رسالة- منطقية فلسفية" كان على أحد أكبر الحركات الفلسفية في القرن العشرين وهي الوضعية المنطقية الوضعية، هذا الاسم الذي أطلق عام 1931 عن الحركة الفلسفية المنبثقة عن حلقة فيينا، كما تسمى أيضا بالتجريبية المنطقية *Logical Empiricism* والتجريبية العلمية *Scientific Empiricism* والوضعية المنطقية الجديدة *Logical new Positivism*. وعلى الرغم من تعدد التسميات فإن جذور الوضعية المنطقية تمتد في تاريخ الفلسفة لتصل إلى فلاسفة كأوغست كونت (1798 -1857) وديفيد هيوم (1711 -1776)، وأرنست ماخ (1838 -1916) وغيرهم، وقد ضمت هذه الحلقة مجموعة كبيرة من الباحثين في مختلف فروع العلم والفلسفة فمنهم الرياضي والفيزيائي وعالم الاجتماع وعالم الاقتصاد، يجمعهم: "فهم علمي للعالم" يقوم على استبعاد الميتافيزيقا من كل فرع من فروع المعرفة يراد له أن

يكون علما، متأثرين بظهور المنطق الجديد الذي وضع أسسه فريجه وطوره راسل ووايتهد (1861 -1947)، وقد أشار موريس شليك (1882 -1636) وهو الرجل الأول في الوضعية المنطقية إلى أهمية المنطق الجديد الذي وجد في الأصل لمعالجة المشاكل الخاصة بالرياضيات وفي الوقت نفسه يمكن الرجوع إليه لحل المشكلات الفلسفية التقليدية (راقع، 2017، 232)، حيث لم يلق فيتجنشتاين في أي وسط آخر اهتماماً كالاهتمام الذي حظي به من طرف أعضاء الوضعية المنطقية، فقد أخذت الرسالة بما طرحته من أفكار حيّزاً هاماً من النّقاش الذي كان يدور في الحلقات التي يشرف عليها موريس شليك، حيث دُرِسَتْ بقدر كبير من الاهتمام، وبنوع من الحِرص على الاستفادة منها في رسم الخط الفكري العام للحركة.

إن منهج التحليل المنطقي هو ما يميز – أساسا – التجريبية الجديدة والوضعية الجديدة عن الأخريات في الماضي التي كان توجهها بيولوجيا وسيكولوجيا فإذا أكّد أحد بقوله: "يوجد إله" أو "اللاوعي هو الأساس الأصلي للعالم"... لا نقول له: "ما تقوله كاذب"، بل نسأله: "ما الذي تعنيه بأحكامك". هناك إذا حد فاصل واضح جدا يظهر بين نوعين من الأحكام: من جهة هناك الأحكام المصاغة بواسطة العلم التجريبي، وهذه يمكن استنتاج معناها بالتحليل المنطقي، أو بالعودة إلى الأحكام الأكثر بساطة التي تُحْمَلُ على المُعْطَى التجريبي. أما الأحكام الأخرى ومنها تلك الأمثلة التي ذكرناها أعلاه، فتتكشف باعتبارها من غير معنى، ... وهذا في أغلب الحالات شيء أساسي بالنسبة إلى الميتافيزيقي، إذ يلتبس الأمر على الميتافيزيقي واللاهوتي

عندما يعتقدان أنهما يقولان شيئا ما بأحكامهما، أو يعرضان حالة ما للأشياء. ولكن يظهر التحليل أن هذه الأحكام لا تقول شيئا، بل هي نوع من التعبير عن إحساس ما بالحياة. إن التعبير عن أحاسيس من هذا القبيل يعد بالطبع مهمة ذات فحوى، ولكن وسيلة التعبير المناسبة عنها هي الفن، الشعر، أو الموسيقى، ... فإذا أصرَّ الميتافيزيقي أو اللاهوتي على استخدام اللغة كثوب، يجب أن يكون على وعي وأن يعرف بوضوح أن الأمر لا يتعلق بوصف، بل بتعبير، ليس بنظرية، أو تبليغ معرفة، بل بشعر أو بأسطورة. وعندما يؤكد الصوفي حصول خبرات له تقع فوق أو وراء كل المفاهيم، لا يمكن للمرء أن ينكر ذلك. ولكنه لا يستطيع قول شيء عن ذلك، لأن الكلام يعني القبض بواسطة المفاهيم "على شيء ما" وإرجاعه إلى وقائع قابلة للتصنيف العلمي (soulez, 1985, p. 116).

ويمكن القول إنه إذا كان التحليل المنطقي أصوله رياضية فيزيائية فإنه الآن هو أساس للتوجه التجريبي الذي يرى في الخبرة الحسية –امتدادا لبيكون ولوك وماخ - معيارا لحصول معرفة موثوق بها. كما أنه يمتد في عمله على عبارات الميتافيزيقي والصوفي واللاهوتي ويثبت أنها بدون معنى وأنها مجرد نزوع أو إحساس تجاه الحياة، ولا يمكن أن تكون ضمن الفلسفة. وأحاسيس من هذا القبيل، الطريقة المناسبة للتعبير عنها تتمثل في الفن أو الشعر أو الموسيقى، وقد تبنى كارناب (1891 -1970) -لاحقا - هذه الفكرة تبنيا صريحا. والتحليل المنطقي لا يهدم الميتافيزيقا الموجودة في الفلسفة القديمة والفلسفة المدرسية والمثالية الكانطية "القبلية -

البعدية" فقط بل حتى الميتافيزيقا الحديثة ويرفض كل معرفة تأليفية قبلية، وهذا الرفض أو الهدم يدخل في إطار الفهم للعلمي للعالَم الذي لا يعترف إلا بأحكام التجربة، والأحكام التحليلية للمنطق والرياضيات. كما يهدف التحليل المنطقي إلى العلم الموحَّد ويقصد بالعلم ما كان تجريبيا (soulez, 1985, pp. 117-118).

وانطلاقا من التحليل المنطقي ميَز الوضعيون المنطقيون بين وظيفتين رئيسيتين للغة؛ إحداهما الوظيفة المعرفية *Cognitive* ومفادها هو استخدام اللغة كأداة رمزية تشير إلى الوقائع الموجودة في العالم الخارجي، ولا يزيد عن اللغة بذلك على أن يكون تصويرا لهذه الوقائع، وعبارات اللغة في هذا المجال هي العبارات التجريبية. أما الوظيفة الثانية فهي الوظيفة الانفعالية *Emotive*، وفحواها أن الإنسان قد يستعمل اللغة أحيانا لإخراج انفعالات تضطرب في نفسه كما يفعل الشاعر – مثلا - ويدخل في إطار هذه الوظيفة استعمالات معينة للغة، تشغل بعض الفلاسفة، تتمثل في العبارات التي تتناول مسائل الأخلاق والميتافيزيقا. كما أصروا على أن العبارات التجريبية هي فقط العبارات ذوات المعنى بالإضافة إلى قضايا المنطق والرياضيات. وحذفوا ما عداها من عبارات من دائرة المعنى مثل عبارات الميتافيزيقا والأخلاق والجمال بحجة أننا لا نجد لها من وقائع العالم ما تطابقه. وظهر بالتالي الافتراض القائل بأن مهمة العبارة هي وصف أو تصوير لحالة من حالات الوجود الخارجي، أو تقرير لواقعة من وقائع، ثم يجيء الحكم على تلك العبارة بعد ذلك بالصدق أو الكذب بناءً على قابلية هذه العبارة

للتحقق، ولم يكن هناك مناص - وفقا لذلك - من الحكم على أنماط أخرى من العبارات بأنها زائفة (صلاح إسماعيل، 1993، 135).

لقد تحولت اللغة وقضاياها عند الوضعيين المنطقيين إلى أدوات للبحث والتعبير، فأصبحت القضية الإخبارية هي الدعوى الأولى في اللغة فتصدرت القضية أبحاثهم لأنها المعبِّر عن قضايا العلوم الطبيعية، وتحولت اللغة إلى قضايا وأصبح التحليل اللغوي تحليلا منطقيا بهدف الدقة في معالجة قضايا العلم والمنطق، مما أدى إلى تفريغ القضايا من مضمونها الشعوري وأصبحت خاضعة لثنائية القيمة المنطقية من صدق أو كذب (أدهم، 1983، 133).

وإجمالا، إن تَحَوُّلَ موضوع الفلسفة عند أصحاب الفلسفة التحليلية إلى الاهتمام باللغة كان رافدا هاما في تطور الأبحاث اللغوية في القرن العشرين، هذه الأبحاث يندرج معظمها ضمن ما أصبح يعرف بفلسفة اللغة، لهذا ومن أجل فهم وافٍ للفلسفة التحليلية واتجاهاتها وجب دراسة هذه الفلسفة من خلال موقفها من اللغة، والذي سيكشف بدوره عن موقفها من قضايا أخرى لا تقل أهمية، منها مفهوم الفلسفة ووظيفتها ومشكلة القضايا الميتافيزيقية والخلو من المعنى... الخ (جمال، 2014، 236).

خاتمة:

لقد كان لأزمة أسس الرياضيات الأثر البالغ في تغيير مسار الفلسفة –على الأقل عند الوضعيين المنطقيين – فظهور الهندسات اللإقليدية مع ريمان ولوباتشفسكي انطلاقا من نقد المسلمة الخامسة

وهي مسلمة التوازي ـ والتي حسب كارناب (Rudolf, 1973, p. 126) سببت للرياضيين قدرا كبيرا من الاضطراب، ومكمن الغرابة حسبه هو في بساطتها الزائدة، وهذا ما جعل عددا من الرياضيين يعتقدون أنها مبرهنة تم استنباطها من بديهيات إقليدس الأخرى ثم ظهور الهندسة الإسقاطية والطوبولوجية، والاقتناع بأن كتاب مبادئ الهندسة لإقليدس ورغم بقائه قرونا مسيطرا على علم الهندسة يحوي عيوبا مهّدت لظهور الهندسات اللإقليدية، وامتداد هذا الشك إلى أسس الرياضيات وإلى علم الحساب " الكم المنفصل" وهو ما يعرف بأزمة نقائض المجموعات، كان السبب الرئيس في البحث عن أساس متين تبنى عليه الرياضيات وهذا ما انتهى إلى ردِّها إلى مبادئ منطقية، وكان راسل من أكبر المدافعين على هذه الفكرة، والأمر ينطبق على الفيزياء ولو بدرجة أقل، وعليه فالنقد والبناء اللذان تعرضت لهما الرياضيات أولا والفيزياء ثانيا، مثّلا نقطة الانطلاق في استعارة منهج التحليل المنطقي منهما وتطبيقه فلسفيا وهذا ما يعرف بالمنعطف اللغوي في الفلسفة، هذا المنعطف الذي حدد مهمة الفلسفة في التوضيح والتحليل، أي تحليل العبارات والألفاظ من حيث بنائها المنطقي العام ،لا من حيث استخدامها في لغة بعينها، وأن تحليل العبارات على هذا النحو هو نفسه تحليل للفكر.

قائمة المصادر والمراجع:

1 -راقع أحمد. (أفريل 2017). **الأخلاق واللاهوت من وجهة نظر الوضعية المنطقية (ألفرد جولس آيرA.J.Ayer نموذجا).** مجلة الإنسان والمجال، معهد العلوم

الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير بالبيّض(العدد 5)، الصفحات 232 -245.

2 -الحاج حسن وداد. (2001). **رودولف كارناب، نهاية الوضعية المنطقية**، ، ط1، 2001. المركز الثقافي العربي، ط1.

3 -كوثر منذر. (2004). **فلسفة التحليل والبحث عن المعنى، الوضعية المنطقية عند آيار**. لندن: دار الحكمة، ط1.

4 -حمود جمال. (ديسمبر 2014). **مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة**. الصفحات 236 -245.

5 -رودولف ميتس. (1967). **الفلسفة الانجليزية في مائة عام** (المجلد الثاني). (محمود نجيب، المحرر، و فؤاد زكريا، المترجمون) القاهرة: مؤسسة سجل العرب.

6 -سامي أدهم. (1983). **فلسفة اللغة، تفكيك العقل اللغوي**. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1.

7 -صلاح قنصوة. (2008). **فلسفة العلم**. دار التنوير.

8 -عبد الحق صلاح إسماعيل. (1993). **التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد**. بيروت، لبنان، : دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعةالأولى، .

9 -عبد الرحمان بدوي. (1975). **مدخل جديد إلى الفلسفة**. الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة الأولى.

10 -كوخ أدريين. (1983). **آراء فلسفية في أزمة العصر**. (محمود محمود قاسم، المترجمون) القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.

11 -الجابري محمد عابد. (يونيو 2002). **مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي** (الإصدار الخامس). بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

12 -مهران محمد ، ومدين محمد. (2004). **مقدمة في الفلسفة المعاصرة**. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

13 -نجيب محمود زكي. (1980). **نحو فلسفة علمية.** مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية.

14 -زيدان محمود. (سبتمبر 1971). **أزمة اليقين في الرياضيات والمنطق.** مجلة الفكر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر(العدد 79)، الصفحات 85 -95.

15 -مور جورج إدوارد. (1978). **دحض المثالية، ودفاع عن الإدراك الفطري.** (أحمد فؤاد كامل، المترجمون) القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.

16 -عطاري وليد. (2006). **مفهوم الفلسفة في نظر فتجنشتاين.** مجلة المنارة (المجلد 13، العدد 01)، الصفحات 305 -329.

17 -الخولي يمني طريف. (ديسمبر 2000). **فلسفة العلم في القرن العشرين - الأصول والحصاد والآفاق المستقبلية.** سلسلة عالم المعرفة.

18- Frege. (n.d.). On the Scientific Justification of a Concept-Script. Mind, ***Quarterly Review***. LXXII.

19- Hampshire, S. (2000). Changing methods in philosophy, (vol 26-50). ***philosophy***.

20- Moore, G. (1948). ***Principia Ethica, preface***. Cambridge University Press.

21- Rudolf, C. (1973). ***Les fondements philosophiques de la physique***. (J.–M. Luccioni, & S. Antonia, Trans.) Paris: Libertaire Armand Colin.

22- Russell. B. (1949). ***On Knowledge of the external word***. London.

23- soulez, A. (1985). ***Manifeste du cercle du Vienne et autres écrits***. paris: PUF.

24- Weitz, M. (n.d.). Analysis and The Unity Of Russell's Philosophy. Schillpp Vol.

25- Wittgenstein, L. (1978). ***Philosophical Investigations***. (G. E. Anscombe, Trans.) Oxford: Blackwell.